

منه الاسم ، ولا يبدل بلفظ آخر لا بالعربية ولا بغيرها ، فلا يبدل لفظ العين بالباصرة ولا لفظ القدم بالرجل » وإذا كان جمهور الأمة قد شدد النكير على المعتزلة فلأنهم ردوا الأصول لجهلهم بالصفات فصاروا معطلة ؛ ومذهب أبى الحسن الأشعري الإقرار بما ورد من الصفات وعدم تأويلها ، قال ابن القيم (١) : « وقد صح قول أبى الحسن الأشعري إن اليد من قوله ﴿ خلق آدم بيده ﴾ وقوله تعالى ﴿ لما خلقت بيدي ﴾ صفة ورد بها الشرع ، ولم يقل إنها في معنى القدرة ، كما قال المتأخرون من أصحابه ، ولا في معنى النعم ، ولا قطع بشيء من التأويلات تحرزاً منه عن مخالفة السلف ، وقطع بأنها صفة تحرزاً عن مذهب المشبهة . فإن قيل : وكيف خوطبوا بما لا يفهمون ولا يستعملون ، إذ اليد بمعنى الصفة لا يفهم معناه ؟ قلنا ليس كذلك ، بل كان معناها مفهوماً عند القوم الذين نزل القرآن بلغتهم ، ولذلك لم يستفت واحد من المؤمنين عن معناها ، ولا خاف على نفسه توهم التشبيه ، ولا احتاج إلى شرح وتنبية ، وكذلك الكفار لو كانت عندهم لا تعقل إلا في الجارحة لتعلقوا بها في دعوى التناقض ، واحتجوا بها على الرسول ﷺ ، ولقالوا له : زعمت أن الله ليس كمثله شيء ، ثم تخبر أن له يداً كأيدينا ، وعيناً كأعيننا ، ولما لم ينقل ذلك عن مؤمن ولا كافر علم أن الأمر كان فيها عندهم جلياً لا خفياً ، وأنها صفة سميت الجارحة بها مجازاً ، ثم استمر المجاز فيها حتى نسيت الحقيقة ، ورب مجاز كثر واستعمل حتى نسي أصله ، وتركت حقيقته . والذي يلوح في معنى هذه الصفة أنها قريب من معنى القدرة إلا أنها أخص منها معنى ؛ والقدرة أعم ، كالخبة مع

(١) بدائع الفوائد ٢ / ٤ ، ٥ .